الغرب
والحصار الاقتصادي على المسلمين

المرجع الديني الراحل

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله درجاته)

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

تهميش:
مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

الغرب
والحصار الاقتصادي
على المسلمين

سورة الفاتحة

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الاقتصاد عصب الحياة... هكذا قال العلماء، مستندين في ذلك إلى أهمية الاقتصاد ودوره في حركة المجتمع الإنساني؛ لأنه كالأعصاب في الجسد البشري تماماً.

فالأعصاب في جسم الإنسان: هي المحرك الرئيسي والمسؤول عن جميع الحركات والسكنات الإرادية منها وغير الإرادية.

إذا رأيت إنساناً غير سوي، مصاباً في يده أو رجله أو الاثنين معاً، أو غير ذلك مما يصيب الجسم الحي، فإنك تقول فوراً: إنها يد مشلولة.. أو رجل كذلك.. أو شلل نصفي، طولي، أو عرضي.. وذلك مرتبط ـ طبياً ـ بالأعصاب.

فالأعصاب إذن، هي التي بخللها يعطب البدن.. وأما إذا ما أصيبت المراكز العصبية الأساسية فإن ذلك يعني الهلاك والاضمحلال للحياة الإنسانية، وهكذا الاقتصاد وتأثيره في الجسد المجتمعي، لأي مجتمع بشري قديم وحديث..

والتطورات التي تطرأ على مسيرة الحياة البشرية قسمها بعض

العلماء الى: البدائية.. والرعوية.. والزراعية.. ثم الصناعية.. ثم الإلكترونية والرقمية والاتصالات الكمبيوترية الحديثة.

ألا تراها جميعها ترتكز على أساس معادلات اقتصادية تسود المجتمع..

ولأهمية المسألة أولاها الله سبحانه وتعالى الدرجة التي تليق بها حيث جاء الإسلام الحنيف والقرآن الكريم والسنة الشريفة بنظام اقتصادي عادل يضمن للبشرية والمجتمع الإنساني السعادة والرفاه في الدنيا والآخرة؛ وذلك عبر تشريعات وسنن ونصائح وواجبات ومحرمات، نراها جلية خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.. فكثيرة هي الأحاديث بعد الآيات التي تتحدث عن الاقتصاد السليم، وتنظيم الحياة الاقتصادية للمجتمع الإسلامي..

ولكن لنا أن نسأل: لماذا تأخر المسلمون بهذا الشكل الفظيع وتراجعوا في كل شيء بهذا الشكل المريع، ولهم هذا الكم الهائل من التوجيهات المحرزة نتائجها من الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة؟!

نعم، إن السيطرة على اقتصاد الدول الإسلامية من قبل الغرب والشرق، جعلها أشلاء مبعثرة، وكياناً متهرأً عاجزاً يعيش على مساعدات ذليلة من أميركا وبريطانيا وألمانيا واليابان وما أشبه مقابل تنازلات لا يعلمها إلا الله، فهي دول وحكومات شعوبها إسلامية، أما مضمونها وقوامها غربي أو شرقي وفاسد، خاو على عروشه...

إذ أن سيطرة دول الاستعمار على اقتصادنا، كالفيروسات القاتلة التي تسيطر على المراكز العصبية في الجسد البشري.. فهل من قيمة لجسد لا مخ فيه أو لاعمود فقري.. أو لا أعصاب...؟!

ومن هنا ـ من خطورة المسألة الاقتصادية والسيطرة الاستعمارية علينا من خلالها ـ تطرق الإمام الراحل المرجع الديني السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) لهذه المسألة الخطيرة عبر العديد من المؤلفات بصورة مجملة أو مفصلة، وعبر الكثير من المحاضرات القيمة، منبهاً إلى خطورة التغافل عن هذه المسألة الهامة في سبيل استمرار حياة الأمة، ورفعتها.

ونحن في مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، إذ نتشرف بتحمل مسؤولية نشر قسم من تراث الإمام الشيرازي الراحل، نقدم هذا الكراس وقد كان محاضرة ألقاها سماحته دام عزه في وقت سابق وراجعها وأضاف عليها، راجين المولى جل وعلا، أن تعم فائدة هذا العمل على الأمة جمعاء، وأن ينبه هذه الأمة ويوقظها من سباتها، لتنهض وتعيد بناء مجدها ورفعتها المرجوة منها، إنه ولي التوفيق والتسديد لكل أمر رشيد.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

شمولية الإمداد الإلهي

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: [كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً][1].

إن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الشريفة يقول: إننا نساعد جميع البشر، المؤمن منهم والكافر، وعطاء الله تعالى يصل إلى الجميع. حيث إنه سبحانه وتعالى لا يمنع لطفه عن شخص في الدنيا، فهو كما يعطي المؤمن يعطي الكافر، لكن الفرق في السعادة، فالكافر لا يهنأ بالسعادة، كما أن الآخرة خاصة بالمؤمن.

[كُلاًّ] من المؤمن والكافر [نُمِدُّ] أي: نعطيهم من الدنيا [هؤُلاءِ] الذين يريدون الآخرة [وَهَؤُلاءِ] الذين يريدون العاجلة

(١) سورة الإسراء: ٢٠.

[مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ] يا رسول الله، أي: من نعمته وفضله [وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً] أي: ممنوعاً، فإنه يشمل البرّ والفاجر.

والعلماء المفسرون يذكرون في هذه الآية بأنها تثبت الاختيار وعدم الجبر؛ وذلك لأنه لو كان الله تعالى لا يمد الإنسان إلا بالحسنات لما تسنى للناس أن يُمتحنوا، لأن الناس يمتحنون في الخير والشر، بأن يعطيهم الله تعالى الحياة والقدرة والإمكان، فيتبين منهم الصالح ومنهم الطالح.

وقد يتسائل المرء: من أين تأتي قوة الإنسان التي يختار بها طريقه ويسعى بها فيه؟

الحقيقة إن قوة الاختيار وقوة السعي هي من عند الله، فحتى العصاة يستمدون قوتهم في الاختيار من الله، فليس عطاء الله ممنوعاً عن أحد، وهذا منتهى الحرية الممنوحة للبشر.

ولكن لماذا ذكرت كلمة [كُلاًّ] قبل [نُمِدُّ] ولم تذكر بعدها، فقال عزوجل: [كُلاًّ نُمِدُّ] ولم يقل: (نمد كلاً هؤلاء وهؤلاء)؟.

والجواب: يحتمل أن تكون إحدى جهات التقديم هي التأكيد على عموم الإمداد الإلهي، وشموليته لجميع المؤمنين والكافرين،

كما في [إِيَّاكَ نَعْبُدُ][1] حيث إن الأصل فيها (نعبد إياك) أي: (نعبدك)، ولكن لأن الله أهم من كل شيء في الوجود، فلذلك قدم [إِيَّاكَ] على [نَعْبُدُ]. هذا فضلاً عن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص، فتكون العبادة محصورة بالله تعالى ومختصة به[2].

ورجوعاً للآية فإن الباري تعالى أعطى القدرة لجميع البشر بلا استثناء، للأشرار وللأخيار، لمعاوية ولأمير المؤمنين عليه السلام، وكذا ليزيد (لعنه الله) وللإمام الحسين عليه السلام، وكذا لهارون العباسي وللإمام موسى بن جعفر عليه السلام؛ وذلك من أجل أن يتبين من هو هارون العباسي ومن يتبعه، ومن هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وشيعته، وهكذا.

إذن، العطاء الإلهي مطلق غير محدود بشخص؛ وذلك لسنة كونية تمهد للجميع فرصة انتخاب الخير والفضيلة، ولمكان إطلاق

---

(١) سورة الفاتحة: ٥.

(٢) للمزيد ينظر كتاب (البلاغة) للإمام الراحل (أعلى الله درجاته) وهو عبارة عن مباحث موجزة في البلاغة، ومبسطة للمبتدئين في هذا العلم، ويدرس هذا الكتاب في بعض الحوزات العلمية قبل كتاب المختصر للتفتازاني، ألفه الامام الراحل في مدينة كربلاء المقدسة عام (١٣٧٩هـ) طبع عدة مرات.

العطاء ونفي الحظر والحبس عن أحد، قال تعالى في الآية: [وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً][1]. أما ما يوجد من التحديد والتقدير والمنع، واختلاف الناس فيما بينهم في الرزق والصحة والعلم وغير ذلك من موارد العطاء، فإنه من ناحية الناس أنفسهم وخصوص استعدادهم لقبول العطاء الإلهي، وليس من جهة المعطي الكريم. فالإشكال في القابل وليس في الفاعل على ما هو مذكور في علم الكلام.

كان هذا مدخلاً للحديث عن الاقتصاد في البلاد الإسلامية، ودور الشرق والغرب في التأثير عليه والعمل على تحطيم البنية الاقتصادية لدى المسلمين.

من هو المتقدم الفائز

قد عرف بهذه المقدمة أن سنة الله في الكون هي إمداد الجميع، فمن يعمل هو الذي يتقدم على من لا يعمل، وهذا قانون يجري في جميع مجالات الحياة والتي منها المسألة الاقتصادية. فبما أن الغرب أخذ يعمل ويعمل في المجال الاقتصادي انتصر وتقدم على المسلمين الذين كسلوا في هذا المجال، وقد ورد في الحديث الشريف: «من لا معاش له لا معاد له»، وهذا لا ينافي ما ورد في ذم الدنيا ومتاعها

---

(١) سورة الإسراء: ٢٠.

الفاني على ما هو مذكور في الكتب المفصلة.

حيث روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أتاهم آت فوقف بباب البيت، فسلم عليهم، ثم قال: السلام عليكم يا آل محمد: [كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ][1]، في الله عزوجل خلف من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك لما فات. فبالله فثقوا، وعليه فتوكلوا، وبنصره لكم عند المصيبة فارضوا؛ فإنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولم يروا أحداً. فقال بعض من في البيت: هذا ملك من السماء بعثه الله عزوجل إليكم ليعزيكم، وقال بعضهم: هذا الخضر عليه السلام جاءكم يعزيكم بنبيكم صلى الله عليه وآله»[2].

فإن قوله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: [وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتاعُ الْغُرُورِ][3] معناه:

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) الكافي: ج٣ ص٢٢٢ باب التعزي ح٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٥.

وما لذات الدنيا وشهواتها، وما فيها من زينة إلا متعة تستبطن الغرور والخداع بشيء، فإنه لا حقيقة له عند الاختبار والامتحان؛ لأنكم تلتذون بما يمتعكم من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفضائح والمصائب فلا تركنوا إليه ولا تسكنوا إليه، فإنما الدنيا غرور وإنما أنتم منها في غرور. فمن الجدير بالإنسان أن يحصل بحياته ورئاسته وماله تلك الدار الباقية، لا أن يغتر بالدنيا ويعصي الله سبحانه حتى يدخل النار[1].

فإن الانسان قد يضيِّع الحقيقة ويتصور بأن الأمر انتهى، وقد وصل إلى هدفه ومبتغاه، كأن يتصور مثلاً: بأنه عندما ينتصر على عدوه أن المشكلات قد حلّت فيمضي في سبيله، ولا يدور في ذهنه بأنه من الممكن أن يكرّ عليه عدوه مرة أخرى ويقضي عليه وهو في غفلة! ولكن هذا غرور وغفلة لا تجر إلا إلى السقوط والفشل.

إذن مثل هذه الروايات تدل على عدم الركون إلى الدنيا على حساب الآخرة، بأن يضيع الإنسان آخرته لأجل دنيا فانية، وهي لاتنافي ضرورة الاهتمام بالمسألة الاقتصادية لكي تكون الأمة قوية عزيزة، تقرر مصيرها بأنفسها، ولا تكون ألعوبة بيد المستعمرين.

---

(١) انظر تقريب القرآن إلى الأذهان: ج٤ ص٨١ سورة آل عمران: ١٨٥.

غفلة المسلمين

وللأسف فإن المسلمين اليوم قد وقعوا في مشكلة الغفلة، التي هي أحد أسباب سيطرة دول الاستعمار القديم والحديث على بلدان العالم الثالث واقتصادها، من حيث نهب ثرواتهم وتحطيم بنيتهم الاقتصادية.

فالباكستان ـ مثلاً ـ هي إحدى دول العالم الثالث التي سقطت بسبب إنهيار اقتصادها، فعندما أرادت باكستان أن تنتزع استقلالها من الغرب قام الغرب بالقضاء على هذا الاستقلال عن طريق هدم اقتصادها، ففي عام (١٩٤٨م) حصلت باكستان على استقلالها الظاهري[١]، ولكن منذ ذلك الحين ولحد الآن وقعت فيها عدة انقلابات عسكرية، راح ضحية تلك الانقلابات الآلاف من

---

(١) لأن دول العالم الثالث ترزح تحت نير سيطرة الاستعمار المبطن بعد أن فضح الاستعمار السافر والاحتلال المباشر، فإن ظاهر الأوضاع الخارجية للدول الاستقلال، ولكن الواقع هو أن أكثر الحكومات والدول في العالم الثالث تدور إما في الفلك الغربي أو الشرقي، ولا تتحرك أو تخطو خطوة واحدة إلا بمعونتهم وموافقتهم، طبق الكلمة المعروفة: إن الاستعمار عندما خرج من الباب دخل من الشباك.

الناس، وهذا بسبب التدخل والنفوذ الغربي[1].

---

(١) لأن الإنقلابات العسكرية عادة تحدث بسبب صراع النفوذ بين الاستعمار الغربي والشرقي، أو الغربي مع بعضه، مثل: أمريكا وبريطانيا، في البلدان الضعيفة لكسب السلطة وإدارة البلد في هذا الفلك أو ذاك. وهو عمل غير مشروع سياسياً ولا إنسانياً؛ إذ أن الإنقلاب لا يعبر إلا عن الانتهاك السافر لحقوق الشعب ومصادرة حرياته في أن يحكم نفسه بنفسه.

وعندما كانت شبه القارة الهندية تحت الاحتلال الإنجليزي وكان يطلق عليها درة التاج البريطاني عمل (محمد علي جناح) على إقامة دولة إسلامية مستقلة، وذلك منذ عام (١٩٤٠م)، وقد وافق البرلمان البريطاني عام (١٩٤٧م) على انفصال باكستان من الهند، فظهرت إلى الوجود رسمياً دولة باكستان في (١٥ آب ١٩٤٧م). وبعد وفاة محمد علي جناح عام (١٩٤٨م) تسلم السلطة ياقوت علي خان الذي اغتيل عام (١٩٥١م) وحدثت اضطرابات أدت إلى حرب أهلية بين البنجابيين الذين كانوا يسيطرون على الجيش والمؤسسات المدنية، ويقودهم غلام محمد البنجابي، الذي أصبح فيما بعد الحاكم العام، وبين البنغاليين بقيادة خواجه نظام الدين البنغالي. واستمر الصراع بينهما طوال فترة إعداد دستور البلاد، حيث أعلن عنه في عام (١٩٥٦م) فأُعلن عن باكستان بموجبه كجمهورية إسلامية بعد أن كانت مقاطعة تابعة لبريطانيا. وبعد تدهور الأوضاع تدخل الجيش الباكستاني فقام بانقلاب عام (١٩٥٨م) فتسلم السلطة الجنرال محمد أيوب خان حتى عام (١٩٦٩م) حيث استولى على السلطة آغا محمد يحيى خان، الذي ألغى دستور البلاد وأعلن الأحكام العرفية. ثم انفصل القسم الشرقي من باكستان وهو ما يعرف اليوم ببنغلادش عن الباكستان بعد ←

تحطيم البنية الاقتصادية

يتم تحطيم البنية الاقتصادية لأي مجتمع عبر طرق عديدة منها:

١: بواسطة إغراق السوق بسيل من البضائع الأجنبية، فيتسبب عن ذلك ارتفاع نسبة العرض وهبوط نسبة الطلب، والنتيجة تكون انخفاض قيمة البضائع والسلع المحلية، وسقوط اعتبارها في الأسواق.

٢: بواسطة إخلاء السوق من البضائع، إلى درجة ارتفاع الطلب ارتفاعاً فاحشاً، وازدياد نسبة الأموال في أيدي الناس مما

→

حرب أهلية تدخلت فيها الهند بشكل كبير لصالح الإنفصال وحسمت تقسيم باكستان عام (١٩٧١م)، فأُجبر محمد يحيى خان على الاستقالة. وتسلم السلطة ذو الفقار علي بوتو بعد ضغوط شديدة على محمد يحيى خان، الذي أطيح به هو الآخر عام (١٩٧٧م) ـ وقيل (١٩٧٦م) ـ بانقلاب قام به الجنرال محمد ضياء الحق، فعطل النظام البرلماني وأعلن حالة الطواريء والحكم العسكري وأعدم ذا الفقار علي بوتو عام (١٩٧٨م) الذي لم تنفعه الوساطات الدولية. فأعلن ضياء الحق نفسه رئيساً للجمهورية. قتل ضياء الحق بحادث طائرة عام (١٩٨٥م) فتولت رئاسة الحكومة بعده بي نظير ذو الفقار علي بوتو حتى عام (١٩٩٠م) حيث تولى رئاسة الحكومة نواز شريف واستمر تداول السلطة بينها وبين نواز شريف حتى عام (١٩٩٩م) الذي أطيح به بإنقلاب عسكري قاده الجنرال برويز مشرف الرئيس الحالي للحكومة الباكستانية.

يعني انخفاض قوتها الشرائية، كل ذلك مضافاً إلى هبوط نسبة العرض، فتكون النتيجة أن تفقد الأموال قيمتها وقدرتها الشرائية، وهو ما يسمونه اليوم بـ (الركود الاقتصادي).

وهذا أسلوب معروف في علم الاقتصاد تقوم به الدول الغربية ـ غالباً ـ وتطبقه في أي مكان تريد السيطرة عليه، واحتلاله اقتصادياً وسياسياً. وقد يكون ذلك تحت سِتار: الإصلاح الاقتصادي وأمثاله. وذلك لأن الاقتصاد عصب الحياة، فإذا انهار الاقتصاد في بلد ما سيكون هناك مبرر كاف لتدخل الدول القوية في شؤون الدول الضعيفة والتحكم بها، بحجة الإصلاح الاقتصادي ودعم البلاد. هذه هي الحالة العامة التي نجدها في أغلب بلدان العالم الثالث.

الإنجليز ودورهم في تدمير الاقتصاد العراقي

حكى والدي رحمه الله[1] عن أوضاع الاقتصاد العراقي إبان

---

(١) هو آية الله العظمى المرحوم السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي قدس سره بن الميرزا حبيب الله بن السيد آقا بزرك بن السيد ميرزا محمود بن السيد إسماعيل الحسيني الشيرازي، فوالد السيد الميرزا مهدي هو ابن أخ المجدد الشيرازي صاحب ثورة التنباك الشهيرة، ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة (١٣٠٤هـ) وظل بها إلى سنين شبابه الأولى، حيث درس على أساتذتها مقدمات العلوم ←

→

من نحو وصرف وحساب ومنطق وسطوح الفقه والأصول، سافر إلى سامراء واشتغل فيها بالبحث والتحقيق والتدريس لفترة طويلة، ثم إلى مدينة الكاظمية، وسافر بعدها إلى مدينة كربلاء المقدسة وبقي فيها فترة من الزمن مواصلاً الدرس والبحث، إلى أن انتقل إلى النجف الأشرف، وأقام بها ما يقرب من عشرين عاماً. درس الخارج على أيدي فحول العلماء والمراجع في عصره أمثال: السيد الميرزا علي آغا نجل المجدد الشيرازي، والمرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الشيرازي، والعلامة الآغا رضا الهمداني صاحب (مصباح الفقيه)، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب (العروة الوثقى) وغيرهم.

كان يحضر في كربلاء المقدسة بحثاً علمياً يسمى في الحوزة ببحث الـ (كمباني) تحت رعاية المرحوم السيد الحاج آغا حسين القمي ﵀ وكان البحث يضم جمعاً من أكابر ومشاهير المجتهدين في كربلاء المقدسة.

بعد وفاة السيد القمي سنة (١٣٦٦هـ) استقل بالبحث والتدريس واضطلع بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية ورجع الناس إليه في أمر التقليد. له مؤلفات عديدة منها: ذخيرة العباد، ذخيرة الصلحاء، الوجيزة، تعليقة على العروة الوثقى، رسالة حول فقه الرضا ﵇، كشكول في مختلف العلوم، كما كان يجيد الشعر وله قصائد عديدة.

كان ﵀ أثناء فترة تنامي المد الشيوعي إبان حكومة عبد الكريم قاسم في العراق، يبادر إلى استنهاض همم مراجع الدين الكبار في النجف الأشرف لاتخاذ موقف جماعي قوي إزاء الخطر الإلحادي على العراق، فالتقى بالمرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم ﵀ حيث أصدر الأخير فتواه الشهيرة بتكفير الشيوعية.

←

الاحتلال الإنجليزي فقال:

عندما دخل الإنجليز في العراق إبان ثورة العشرين[1]، كانت عائلتي تتشكل من عشرة أفراد، وكنت أتقاضى شهرياً ليرة واحدة من آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره[2]، وكانت

→

توفي قدس سره في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة (١٣٨٠هـ) وشيع جثمانه في موكب مهيب قلما شهدت كربلاء مثله، ودفن في مقبرة العالم المجاهد الشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله في صحن الروضة الحسينية الشريفة، وأقيمت على روحه الطاهرة مجالس الفاتحة والتأبين بمشاركة مختلف فئات وطبقات المجتمع استمرت لعدة أشهر.

(١) هي ثورة عارمة ضد الاستعمار الإنجليزي في العراق عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، حيث أصدر قائد الثورة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي رحمه الله والذي كان المرجع الأعلى للطائفة، فتواه الشهيرة ضد التواجد الإنجليزي في العراق، فأنتجت ثورة نشبت من شمال العراق إلى جنوبه ضد الإنجليز المحتلين، الذين كانوا قد ادعوا أنهم جاؤوا محررين للعراق من الاستبداد العثماني لا فاتحين، وهذا نص الفتوى: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم». انظر (الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م ونتائجها): ص١٩٢ - ١٩٥.

(٢) هو الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية، ولد بشيراز عام (١٢٥٦هـ) ونشأ في ←

الليرة في ذلك الزمان تساوي ثلاث عشرة روبية، وعندما دخل الإنجليز في العراق أعطوا لكل فرد في الجيش عشر روبيات لكل يوم[1]!

وقد ألزموا الجنود أن ينفقوها إلى المساء، فكان أفراد الجيش عندما يدخلون السوق يشترون ـ مثلاً ـ الدجاجة التي سعرها عُشر

→

كربلاء المقدسة، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه المجدد تعين للخلافة بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى الخطيرة التي أقامت العراق وأقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس. فهو قدس سره فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده، وكان أفتى من قبل بحرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرون إلا عن رأيه وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء. توفي رحمه الله في الثالث عشر من ذي الحجة عام (١٣٣٨هـ) ودفن في الصحن الحسيني الشريف ومقبرته فيه مشهورة. راجع طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر: ج١ ص٢٦١ الرقم ٥٦١.

(١) الليرة عملة تركية كانت متداولة في العراق زمن الدولة العثمانية. (الروبية) عملة هندية أُدخلت الى العراق بعد احتلال القوات الإنجليزية للعراق.

الروبية بروبية كاملة! وذلك لتوفر الأموال عندهم ولزوم صرفها إلى المساء.

وواضح أن هدف المحتل الإنجليزي ـ من هذه العملية ـ كان هو التلاعب بالاقتصاد العراقي وتقليل نسبة العرض ورفع نسبة الطلب أو العكس، فجعلوا الليرة التي كانت تكفي عائلة ذات عشرة أفراد لشهر كامل، تصرف من قبل فرد من أفراد الجيش في يوم واحد؛ ليصاب الناس بالفقر الفاحش؛ إذ ليس كل الناس كان يحصل على ما يحصل عليه جنود الاحتلال من رواتب.

ومن جهة أخرى أرادوا إجهاض قاعدة الاكتفاء والاعتدال الذاتي التي يقرها الاقتصاد الإسلامي، حيث جاء في رواية عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن سيرته القصد وسنته الرشد»[1]، والقصد هو التوسط بين الإفراط والتقتير، ومن مصاديق ذلك التدبير في المعيشة، واستغلال الثروات الموجودة في ربوع البلاد الإسلامية، وتنميتها والعمل على تكثيرها.

وفي رواية أخرى عن سليمان بن معلى بن خنيس عن أبيه قال: سأل أبو عبد الله عليه السلام عن رجل وأنا عنده؟.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٣ ق٥ ب١ ف١ ح٨٠٥٢.

فقيل لـه: أصابته الحاجة.

قال عليه السلام: «فما يصنع اليوم؟».

قيل: في البيت يعبد ربه.

قال عليه السلام: «فمن أين قوته؟».

قيل: من عند بعض إخوانه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «والله للَّذي يقوته أشدُّ عبادة منه»[1].

وذات يوم رأى أحد الأصحاب الإمام الصادق عليه السلام وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له، والعرق يتصاب عن ظهره، فقال: جعلت فداك، أعطني أكفك؟.

فقال الإمام عليه السلام: «إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة»[2].

الاكتفاء الذاتي ضرورة

ومن هنا يعلم ضرورة تطبيق ما يوجب الاكتفاء الذاتي في البلدان الإسلامية؛ فلأجل تقوية الاقتصاد الإسلامي وتعديله: يلزم على المسلمين أن يتفقوا على أن لا يستوردوا أية بضاعة

---

(١) الكافي: ج٥ ص٧٨ باب الحث على الطلب والتعرض للرزق ح٤.

(٢) الكافي: ج٥ ص٧٦ باب الاقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق ح١٣.

أجنبية، سواء من الغذاء أو الملابس أو غيرها من الكماليات وغيرها؛ لأن المسلمين ماداموا يستوردون البضائع وغيرها من الغرب، ولا يأكلون مما يزرعون، ولا يلبسون مما يخيطون وينسجون، فانكسارهم اقتصادياً حتمي لا محالة. أما إذا اعتمدوا على أنفسهم وهيئوا ما يحتاجون إليه من المواد الأولية من داخل بلادهم، واستغنوا عن الغرب ومنتجاته، وقنعوا بمنتجاتهم الوطنية كما فعلت الهند إبان نهضتها وثورتها ضد الإنجليز المحتلين، فإنهم سيكونون أسياد أنفسهم وسيقوى عصب اقتصادهم، ولن يحتاجوا حينئذٍ إلى الغرب والشرق أبداً.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج لمن شئت تكن أسيره، وأفضل على ما شئت تكن أميره»[1].

(١) أعلام الدين: ص١٥٩ فصل في ذكر الغنى والفقر.

تجربة الهند مع الاحتلال البريطاني

قام غاندي[1] بتطبيق الاكتفاء الذاتي على بلاده حتى حقق

---

(١) هو موهانداس كرامشاند، زعيم وفيلسوف هندي قاوم احتلال الإنجليز لبلاده، ولد في الهند عام (١٨٦٩م) اشتهر بلقب (المهاتما) أي: ذو النفس الرفيعة، دعا إلى تحرير الهند من سيطرة الإنجليز بالطرق السلمية واللاعنف بعيداً عن جميع أساليب العنف، درس القانون بجامعة لندن وعاد إلى الهند، ثم انتقل إلى جنوب أفريقيا سنة (١٨٩٣م) حيث اشتغل بالمحاماة، ولم يلبث أن انصرف إلى قضية مواطنيه ضد قوانين التفرقة العنصرية، بدأ نشاطه السياسي عام (١٩١١م) بالمظاهرات التي نظمها ضد القوانين التعسفية التي شُرعت ضد الآسويين، ونجح في إلغائها، وفي عام (١٩١٤م) سافر إلى لندن لتنظيم وحدة إسعاف هندية تشارك في الحرب العالمية الأولى.

تضمنت معالم سيرة غاندي منذ عودته إلى الهند عام (١٩١٥م) فقد نادى بوحدة الجنس البشري تحت نواميس الله داعياً الى المحبة والعدالة والإخاء بين جميع أفراد الأمة الهندية، واعتمد كثيراً على توحيد الكلمة بإقامة الأواصر الطيبة بين الهندوس من جهة والمسلمين والمسيحيين من جهة أخرى، انتهج سياسة (التسامح الطائفي) حيث نجح في ضم ملايين المسلمين إلى حزب المؤتمر الهندي، وذلك خلال عقده المؤتمرات الجماهيرية العديدة، ولكن هذه السياسة أثارت بعض غلاة الهندوس ودفعت أحد هؤلاء لاغتياله عام (١٩٤٨م).

من أبرز معالم سيرته تزعمه حركة استقلال الهند من الاحتلال الإنجليزي، فقام بتنظيم حركة عدم التعاون عام (١٩١٩م) ثم حركة الإضرابات التي شملت كل الهند، وتلا ذلك تنظيم العصيان المدني ومقاطعة البضائع ←

استقلال الهند عن الإنجليز اقتصادياً وسياسياً، وذلك عبر أساليب عديدة، أهمها أمران:

أحدهما: أنه منع صنع الخمر وشربه والتعامل به، وكان يقول: إننا بحاجة إلى العقل حتى نقف ضد الإنجليز والغرب، والخمر مزيل للعقل.

وعندما أعلن ذلك المنع قام أتباعه بحملة على أشجار العنب فأبادوا مليون شجرة عنب كانت تستغل لأجل تحضير الخمر، وذلك لأن القضاء على تناول الخمر لابد له من القضاء على

→

الأجنبية، قبض عليه مرات عدة وألقي في السجن، وفي عام (١٩٣٠م) نظم المسيرة الكبرى، وعارض قانون احتكار الملح فسجن على أثرها، وفي عام (١٩٤٢م) قاد حملة العصيان المدني الثانية التي أدت به إلى السجن أيضاً. استحدث غاندي في نضاله ضد الاستعمار عدة أساليب أبرزها المقاومة السلبية بدون عنف، ثم سياسة عدم التعاون بالامتناع عن العمل، ثم (العصيان المدني) التي شملت الامتناع عن دفع الضرائب، ثم مقاطعة البضائع الأجنبية بإحراقها علناً، ركز في تلبية الحاجات المعيشية عبر الاكتفاء الذاتي والعودة إلى الإنتاج الوطني، ويعتبر غاندي من أبرز دعاة السلام في القرن العشرين. انظر القاموس السياسي، لأحمد عطية: ص٨٣٤ حرف الغين، والمنجد في الأعلام: ص٣٨٧ حرف الغين، وكتاب (تجاربي مع الحقيقة) وهو مذكرات غاندي.

جذوره وهي أشجار العنب.

ثانيهما: مقاطعة البضائع الإنجليزية، ومن أهمها الامتناع عن لبس الملابس الإنجليزية واستعمالها؛ ليُفهم الإنجليز بأنه لم يعد لهم في الهند مكان، وتحسباً من عرقلة ذلك القرار قرر أنه كل من لم يلتزم بهذا القرار ـ واستعمل الملابس الإنجليزية مثلاً ـ لا يحق له الاشتراك في المؤتمر الوطني الهندي.

لقد كان في قصة الهند وابتلائهم بالمحتلين البريطانيين، وكيفية تخلصهم من سلطتهم الجائرة واحتلالهم المشين، عبرة لمن اعتبر؛ فإن البريطانيين كانوا قد احتلوا بلاد الهند مدة ثلاثمائة سنة، ولم يتركوا الهنود يتقدمون في شيء من أبعاد الحياة، لكن الهنود لما استقلوا وذلك منذ خمسين سنة، نفضوا عن أنفسهم غبار الاحتلال والتبعية، وعملوا بجد واجتهاد حتى تقدموا في إنتاج كل شيء، من الذرة إلى غيرها من الصناعات، وزرعوا كل شيء يحتاجون إليه من الذرة إلى غيرها من المزروعات، وبلغوا في كل ذلك درجة الاكتفاء الذاتي، على الرغم من أن نفوس الهند تقرب من مليار نسمة، ومع أنه قد صادر المستعمرون البريطانيون في هذه القرون الثلاثة التي كانوا يحتلون فيها بلادهم، كل خيرات وموارد وثروات البلاد، حتى افتقروا أشد الفقر، لكنهم لما اهتموا وعملوا

تمكنوا من التقدم وذلك بهذا الشكل من التقدم الهائل.

السعي إلى الاكتفاء الذاتي

لذا يلزم على بلادنا الإسلامية أن تطبق برامج عديدة للاكتفاء الذاتي في جميع احتياجاتها اليومية ـ نعم الضرورات تقدر بقدرها حسب تشخيص الخبراء ـ فتوفر لنفسها جميع احتياجاتها الغذائية بدءً من البيض والدجاج واللحم والزيوت، وهكذا بالنسبة إلى الصناعات، وما إلى ذلك من المواد الأولية، من نفس أرضها وثروتها الحيوانية والزراعية، إلى استخراج المعادن الوفيرة المدفونة بأرضنا التي أنعم الله بها علينا، بحيث تبلغ درجة الاكتفاء الذاتي وتزيد كثيراً.

نعم، إذا التفت المسلمون الى أهمية الاكتفاء الذاتي من خلال برمجة دقيقة بإشراف الأخصائيين، وكذلك استغلال أوقات الفراغ أو الطاقات المعطلة في عملية البناء والتنمية، كان ذلك ـ قطعاً ـ يعود بالفائدة والرفاه على المجتمع الإسلامي ككل.

فعلى سبيل المثال: إذا امتلكت كل عائلة ماكنة خياطة، وحقل صغير للدواجن تربي فيه الطيور والدجاج والأغنام والماعز، وحوض لتربية الأسماك، وزرعت حديقة البيت ـ وإن كانت صغيرة

ـ بالخضروات وأشجار الفاكهة وما أشبه. فإن مثل هذه الأعمال مضافاً إلى واردها وانتاجها قادرة على معالجة الكثير من المشكلات الاقتصادية وغيرها؛ فهي تحل مشكلة الفراغ، وأيضاً بعض مشكلة الغلاء، وأيضاً المشاكل النفسية التي تعاني منها الأسر بسبب الضائقة المالية.

علماً أن التعاون هو السبيل لحل معظم المشاكل الإجتماعية، ولا يقتصر هذا البرنامج على الفرد والأسرة فقط بل يسري إلى المنظمة والهيئة وإلى المستويات الكبيرة الأخرى من تشكلات المجتمع. فإذا كان بمقدور الفرد الواحد أن يحقق قسطاً من الاكتفاء الذاتي فكيف بالمنظمة المشتملة على الآف الأفراد، وقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «كلوا جميعاً ولا تفرقوا؛ فإن البركة مع الجماعة»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يد الله مع الجماعة»[2].

وهذا أمر تكويني قبل أن يكون غيبياً.

وإذا كان بمقدور المنظمة إنجاز أكبر الأعمال الممكنة في نطاق

---

(١) بحار الانوار: ج٦٣ ص٣٤٩ ب٨ ح٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ من كلام له عليه السلام يبين فيه أحكام الدين..

الاكتفاء الذاتي فإن بمقدور السلطات عمل ما هو أكبر من ذلك؛ لأنها تمتلك من الإمكانات التي تتيح لها إنجاز أعمال أكبر من الآخرين، بشرط أن تكون حكومة قائمة على مبدأ الشورى المستندة إلى الأحزاب الحرة ذات المؤسسات الدستورية وبشكل تعددي بعيد عن أساليب الظلم والاستبداد.

وبغير ذلك فإن عدونا سيستفيد من نقطة ضعفنا هذه، وينفذ ويتسلل إلى داخل بلادنا الإسلامية تحت عناوين متعددة، مثل الإصلاح الاقتصادي وما أشبه؛ ليحطمنا ويهزمنا من الداخل.

لا لليأس

من أهم ما يلزم على الأمة في التخلص من الهيمنة الاقتصادية الغربية إبعاد حالة اليأس والإحباط وضعف الأمل عن نفوس الأمة، فهي جميعها تعتبر من أهم عوائق التقدم والرقي، قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: [وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ][1].

وقد ذكر في تفسير الآية الكريمة: [وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ]

---

(١) سورة يوسف: ٨٧.

أي: لا تقنطوا من رحمته، ولعل الإتيان بلفظ الروح، لأجل أن المهموم المكظوم المحتبس النفس، يحتاج الى روح ونسيم ليروح عنه، ويخفف وطأ الأنفاس المحترقة الموجبة لخنقه واحتباس نفسه، و: [إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ] ورحمته [إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ] بالله وبفضله، أما المؤمن فإنه يرجو من الله الفرج من الشدة، والخلاص من الكربة[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كل قانط آيس»[2].

وقال عليه السلام: «قتل القنوط صاحبه»[3].

وقال عليه السلام: «للخائب الآيس مضض الهلاك»[4].

إن الشدة التي فيها انقطاع الأسباب وانسداد طرق النجاة؛ تشكل اختناقاً للإنسان، ويقابلها الخروج إلى فسحة الفرج والظفر، فالروح المنسوب إليه تعالى هو الفرج بعد الشدة، بإذن الله ومشيئته، وعلى من يؤمن بالله أن يعتقد بأن الله يفعل ما يشاء؛ ولذا قال الله تعالى حاكياً على لسان يعقوب عليه السلام: [إِنَّهُ لا يَيْأَسُ

---

(١) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج١٣ ص٤٣ سورة يوسف.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٦٧ ق٣ ب٢ ف٤ ح٥٨٠٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٨٣ ح١٣٣١.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٦٧ ح٥٨٠٩.

مِنْ رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ][1].

وقال حاكياً على لسان إبراهيم عليه السلام: [وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ][2].

وقد عد اليأس من روح الله من الكبائر الموبقة؛ كما يعتبر اليأس والتشاؤم من أهم عوالم التأخر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الكبائر أربع: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله»[3].

وعن صفوان الجمال قال: شهدت أبا عبد الله عليه السلام واستقبل القبلة قبل التكبير وقال: «اللهم، لا تؤيسني من روحك، ولا تقنطني من رحمتك، ولا تؤمني مكرك؛ فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون». قلت: جعلت فداك، ما سمعت بهذا من أحد قبلك؟! فقال عليه السلام: «إن من أكبر الكبائر عند الله اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله»[4].

إذن، ما دام المسلمون متشائمين ويائسين، وقانطين من رحمة

---

(١) سورة يوسف: ٨٧.

(٢) سورة الحجر: ٥٦.

(٣) نوادر الراوندي: ص١٦.

(٤) الكافي: ج٢ ص٥٤٤ باب الدعاء قبل الصلاة ح٣.

الله، لا يمكنهم تجاوز مشاكلهم والتقدم ببلادهم نحو الأمام، وبالتالي هم عاجزون عن مواجهة الاستعمار وعملائهم الطغاة أمثال صدام[1] ولا يتمكنون من مواجهة الحصار الاقتصادي الذي

---

(١) صدام التكريتي، ولد عام (١٩٣٩م) في العوجة قرية جنوب تكريت، طاغوت العراق في العصر الحديث وأتعس نموذج للطغاة، تلميذ الغرب، المطيع والمنفذ الأول لمخططات الصهيونية وأعداء الاسلام، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. خلال فترة بقائه في القاهرة كان يكثر التردد على السفارة الأمريكية، فقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط ـ عن أحد كبار المسؤولين العرب ـ بأن الرئيس عبد الناصر قد أبلغه: أن صدام هو رجل أمريكا الأول في المنطقة في المستقبل، وأنه كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في إنقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وبعد نجاح الإنقلاب كان صدام المنفذ الأول لتصفية مجموعة عبد الرزاق النايف المشتركة في الإنقلاب، وذلك بعد ثلاثة عشر يوماً من إنقلابهم، حيث تمت تصفيتهم. أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة في عام (١٩٧٠م) ورئيساً للجمهورية حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد إقصاء البكر عن الحكم.

هاجم إيران عام (١٩٨٠م) حيث ألغى اتفاقية الجزائر التي وقعها مع شاه ايران عام (١٩٧٥) فاندلعت حرب استمرت ثمان سنوات أحرقت الاخضر واليابس، فراح ضحيتها من الشعبين مايزيد على مليوني إنسان، وبعدما ←

فرضه الغرب على المسلمين في العديد من البلاد الإسلامية

→

توقفت الحرب عاد صدام واعترف باتفاقية الجزائر التي الغاها!!

هاجم الكويت واحتلها عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بمهاجمة الجيش العراقي بغية إخراجه من الكويت وتم ذلك، فلم تضع تلك الحرب أوزاها حتى كان العراق يعاني من دمار شامل في جميع مرافق الحياة وفي كل بناه التحتية، وضحايا لم تعرف أعدادها، ووضع العراق تحت حصار طويل الأمد بقرار من مجلس الأمن بحجة تدمير أسلحة الدمار الشامل التي طالما تبجح الطاغية صدام بها متوعداً أميركا والكيان الصهيوني بحرقهم بها، والتي لم يستخدمها إلا مع شعبه في حلبجة وباقي مدن العراق إبان انتفاضة عام (١٩٩١م)، التي قمعها صدام بوحشية لا مثيل لها، حتى قدر عدد من قتل وأعدم واختفى بما يزيد على ٥٠٠ ألف ـ وقيل مليون ـ عراقي.

إنهار نظام صدام وأُحتل العراق بحرب شنتها أميركا عام (٢٠٠٣م) بالتحالف مع بريطانيا وبعض الدول الأخرى، فهرب صدام وأعوانه من المعركة، ألقي القبض عليه مختبئاً في جحرٍ تحت الأرض كالجرذ بعد كل ذلك الجبروت والكبرياء والفرعنة التي اتسم بها طيلة حياته وفترة حكمه المشؤوم، وهذا حال الكثير من أركان نظامه الذين تم إلقاء القبض عليهم تباعاً، فاستراح الشعب منه ومن جرائمه، ونحن إذ نقوم بنشر هذا الكراس ينتظر صدام ـ هدام العراق ـ محاكمته ذليلاً حقيراً مذموماً مدحوراً، والله أحسن الحاكمين، والحمد لله قاصم الجبارين، وبذلك تنتهي فصول مرحلة رهيبة عاشها الشعب العراقي والمنطقة بأسرها.

كالعراق[1] وليبيا، والسودان، وأفغانستان، وغيرها[2].

لذا يلزم أن لا يوجد في قاموس حياتنا مفردات التشاؤم واليأس وما أشبه، وذلك انطلاقاً من أوامر وتوجيهات القرآن الكريم والسنة المطهرة كما في الأحاديث الشريفة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر

---

(١) جريمة أخرى أُرتكبت بحق الشعب العراقي، وذلك بفرض حصار اقتصادي على الشعب، حرم العراقيين من أبسط مستلزمات الحياة، الغذاء والدواء ولوازم العيش، حتى راح ضحية هذا الحصار من الأطفال مئات الآلاف فماتوا بسبب سوء التغذية وأمراض يمكن علاجها وتلوث نتج من أسلحة الدمار الشامل.

(٢) فرضت عقوبات اقتصادية من قبل مجلس الأمن ودول الغرب على كل من: ليبيا بحجة دعم الإرهاب وإسقاط طائرة مدنية فوق مدينة لوكربي الاسكتلندية وإقتناء الأسلحة النووية والكيميائية، وعلى السودان بحجة دعم الإرهاب وتنظيم القاعدة وصناعة أسلحة الدمار الشامل، وعلى أفغانستان بحجة إيواء التنظيمات الإرهابية كتنظيم القاعدة المسؤول عن تفجيرات ١١ أيلول عام (٢٠٠١م) في أميركا وحركة طالبان المتشددة وتنظيمات أخرى، وفرض عقوبات على إيران لثنيها عن مواصلة برنامجها النووي، وعلى سوريا لإتهامها بدعوى دعم الإرهاب وصناعة واقتناء أسلحة دمار شامل، إلى غير ذلك من الذرائع والحجج، التي غايتها إحكام السيطرة على المنطقة.

الله»[1].

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٠.

قصة واقعية

عندما كنا في إحدى البلاد الإسلامية[1]، رغب أحد الأصدقاء

---

(١) وهي دولة الكويت: حيث أقام الإمام الراحل (أعلى الله مقامه) فيها ثمان سنين، بعد خروجه القسري من العراق عام (١٣٩١هـ)، ثم هاجر بعدها إلى مدينة قم المقدسة عام (١٣٩٩هـ).

يقول الإمام الراحل قدس سره عن تلك الفترة من حياته الشريفة:

لقد كان في خروجنا من العراق إلى سوريا، ومنها إلى لبنان، ثم الكويت، وأخيراً إيران، نوع مواساة لإخوتنا الذين هجرهم الحكام الطغاة بعد ذلك. كما أنه كان نوعاً من الرحمة لي؛ إذ توفقت لزيارة كثير من مزارات أهل البيت عليهم السلام والتشرف بمشاهدهم المباركة، وتوفقت أيضاً لأن أتعرف على أخوة إيمانيين كثيرين، كما توفقت أيضاً وبتعاون طيب من الأخوة البررة والأصدقاء الأوفياء، أن أؤسس المؤسسات الدينية والثقافية، والخيرية والاجتماعية، في عدد من البلدان، خاصة التي مررت بها. ففي الكويت مثلاً: توفقنا لتأسيس مدرسة، ومكتبة، وحسينية، ومساجد، وهيئات ومجلات، وغير ذلك، ولعل مجموعها يصل إلى أكثر من مائة مؤسسة كبيرة وصغيرة، وهي بحمد الله مستمرة وباقية حتى اليوم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ما عدا بعض المجلات فإنها تعطلت مثل: (الفتاة التقدمية) وهي خاصة بالمرأة، ومثل (الإيمان) وهي مشتركة، لكن بعد ذلك أخذت المجلات الخاصة بالمرأة تصدر وتنتشر، كما وأخذت تزداد وتكثر، حتى إني رأيت قبل مدة ما يقارب عشر مجلات تصدر من هيئات نسوية، وما أشبه، وهذا مما يبشر بخير، إذ على المرأة أن تواكب الرجل في المجال العلمي والثقافي مراعية حجابها وحشمتها وكرامتها. ثم إن ←

في شراء شاتين، فطلب ذلك من أحد باعة الشياه. فقال: وأي نوع تريدون، شاة محلية أم أجنبية؟!

قال: وهل هناك فرق بينهما؟.

قال: نعم، الفرق واضح وكبير جداً.

قال: كيف ذلك؟!.

قال: سترون. وذهب وأحضر شاتين مستوردة من دولة هولندا، كأنهما ـ وبدون مبالغة ـ عجلان سمينان، وأحضر شاتين محليتين كان وزنهما لا يتجاوز نصف وزن الشاة الأجنبية، وبعد الاستفسار عن الثمن تبين أن قيمة الشاة المستوردة السمينة لا يزيد

→

المساجد التي وفقنا الله لتأسيسها في الكويت، بلغت ما يقرب من عشرة مساجد، وذلك في قصص طويلة ومفصلة، وفي نفس الوقت هي جميلة ولطيفة، وتجربة عملية وتطبيقية. ثم إنه لما سافرنا إلى إيران، وذهبنا إلى قم المقدسة، كان القصد هو الزيارة والإلتقاء بالإخوان والسادة المراجع ثم العودة، ولكن بإصرار من السادة المراجع، والعلماء الأعلام، والفقهاء العظام في الحوزة العلمية في قم المقدسة، عزمنا على البقاء، كالسادة المراجع: السيد الشريعتمداري، والسيد الكلبايكاني، والسيد المرعشي، والشيخ مرتضى الحائري، والشيخ هاشم الآملي (قدس الله أسرارهم) وغيرهم، فعزمت على البقاء استجابة لهم، وبقيت فيها حتى هذا اليوم، سائلاً من الله سبحانه وتعالى أن يجعل بقاؤنا في قم المقدسة مقروناً برضاه.

على ثلث قيمة الشاة المحلية الضعيفة!! يعني: إن الشاة الأجنبية الواحدة تعادل شاتين محليتين أو أكثر من ناحية الوزن، في حين أن قيمتها لا تتعدى الثلث إن لم تكن أقل من ذلك.. ولماذا؟!

لأن الزراعة وتربية المواشي في البلاد الإسلامية دون مستوى الزراعة وتربية المواشي في الدول الأخرى بدرجات كبيرة، مع أن المفروض أن يكون العكس، وأن تكون البلاد الإسلامية هي المتطورة والمتقدمة كما كانت عليه سابقاً. وذلك لاشتمالها على مختلف الثروات في أراضيها ومياهها ومعادنها وغير ذلك، وهذا واضح وجلي عند أبسط مقارنة بين الثروات والنعم التي أنعم الله بها على بلاد المسلمين من: المياه والأنهار، والتربة الخصبة الغنية، وكثرة الأيادي العاملة، وبين غيرها من البلاد، ولكننا نجد الفرق شاسعاً في الإنتاج ونوعيته.

وهو الحال نفسه بالنسبة إلى الثروات الحيوانية والمائية، وما أشبه ذلك من موارد الطاقة، وكل ذلك حدث نتيجة التقصير والتقاعس من قبل المسلمين، وبتخطيط من قبل دول الكفر والاستعمار، وقبول من دولنا، وتطبيق من قبل حكامنا العملاء. إذ لا يخفى أن إحدى المخططات التي اتخذها الغرب من أجل القضاء على اقتصاد المسلمين، هو سلب الحرية الاقتصادية التي أمر بها

الإسلام، أي: حرية الكسب والتجارة والزراعة وحيازة المباحات وما أشبه، فأصبحت البلاد الإسلامية تعمل بقوانين غربية وشرقية لا إسلامية، الأمر الذي كان له أشد الأثر في تجميد السيولة المالية لدى المسلمين التي كانت ترد إلى بلاد الإسلام بشكل رئيسي من خلال الحريات الاقتصادية ـ سابقاً ـ وشعار الباب المفتوح وفق حدود الإسلام وشروطه السمحة اليسيرة.

العلاج الإسلامي الاقتصادي

إن العلاج الناجع لحل المشكلة الاقتصادية يكمن في العمل ضمن إطار القوانين الإسلامية في باب الاقتصاد، ففي نظر الإسلام الناس أحرار في أن يتاجروا ويعملوا أي عمل، ويقوموا بأي كسب ـ باستثناء ما حرمه الله سبحانه وتعالى ـ وفي أي زمان ومكان شاؤوا، ولا يحق لأي شخص، أو دولة، أن تضيق أو تمنع من ذلك أو تشترطه بأخذ موافقة أو إجازة أو دفع ضريبة أو ما أشبه.

إن منطق الإسلام يتجلى أكثر من خلال أحكامه العامة السمحة، وقواعده الفقهية السهلة التي لا تقبل التبديل أو التحول، وإحدى تلك القواعد الفقهية المسلم بها، والتي ذكر بعض العلماء أنها من ضروريات الدين الإسلامي ولوازمه هي: «الناس مسلطون

على أموالهم وأنفسهم»[1]. وهذه القاعدة تضمن حرية الإنسان الاقتصادية وتقدمه في مختلف جوانب الحياة كما أنها تعبر عن مجمل (حقوق الإنسان) في الإسلام.

ولقد سعى الاستعمار جاهداً من أجل إبعاد المسلمين عن هذا المنطق الواضح الصريح، بعد أن أدرك أن في إبعادهم السبيل الأقصر لتقويض دعائم بلادهم، ومحاصرة قواهم المالية.. فقام في سبيل ذلك بوضع قوانين وشرائط وقيود للكسب والتجارة، حتى لا يجد المسلمون حرية في معاشهم وكسبهم فيسلبوا بذلك فرصة التقدم والازدهار.

---

(١) وتسمّى بقاعدة السلطنة والتسلط وهي: (الناس مسلّطون على أموالهم وأنفسهم). وفي موضع من الجواهر زيادة: (وحقوقهم). والقطعة الأولى رواية مشهورة في ألسنة الفقهاء قديماً وحديثاً، بحيث لا يحتاج إلى البحث عن السند. حيث ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «الناس مسلطون على أموالهم». كما في (غوالي اللئالي: ج١ ص٢٢٢ ف٩ ح٩٩). و(أنفسهم) مستفاد من قوله تعالى: [النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ] سورة الأحزاب: ٦. و(حقوقهم) مستفاد من: «لا يبطل حق امرء مسلم» كما في (وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٨٩ ب٣٥ ح٣٥٢٢٣). بعد أخذ الموضوع من العرف، إن لم يتصرّف فيه الشرع بزيادة أو نقيصة. ويدل على القاعدة: الأدلة الأربعة... للتفصيل راجع (القواعد الفقهية) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه): الفصل السابع قاعدة التسلط.

فاذا كان العجب يبطل بعد معرفة السبب كما يقولون؛ فإن: (الدواء لا يتعين إلا بتشخيص الداء)، فعلينا أن نتعرف على الداء في مجتمعاتنا، ثم تشخيص الدواء على المنطق الإسلامي، فإن قوانين الإسلام الاقتصادية هي الدواء، كما يلزم علينا أن نتشبع بروح الإسلام ومبادئه أولاً، حتى يتسنى لنا مقاومة خطط الأعداء والمستعمرين، والاستغناء عن سيطرتهم الاقتصادية على بلادنا، وهو الداء المشخّص لنتحرر من أسر التبعية والحصار.

كذلك كان موقف الإسلام، وكذلك كان موقف من يؤمنون به، ويلتزمون بسننه وأحكامه؛ لذا لابد لنا من الابتعاد كل البعد عن الإسراف بكل معانيه فكرياً كان أم مادياً، وإذا كان إهدار الموارد وتضييع الثروات يعد ترفاً وإسرافاً؛ فإن من الإسراف الفكري إهمال الفكر وتعطيل العقول، واليأس من الوصول إلى الحلول.

وعلينا أن نفعل نفس ما فعله المجدد الشيرازي[1] (رضوان الله

(١) آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي المشهور بالمجدد، عميد أسرة الشيرازي، ولد في (١٥ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ)، هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٢٥٩هـ) ثم إلى سامراء (١٢٩١هـ). تتلمذ عند العلماء الأعلام كالسيد حسن المدرس والمحقّق الكلباسي وصاحب الجواهر والشيخ الأنصاري. ←

عليه)، حيث حرر إيران من الهيمنة الاقتصادية الإنجليزية بكلمة واحدة مختصرة، عندما أفتى بتحريم استعمال التنباك مطلقاً، ورغم أن كلمته وفتواه المشهورة كانت مختصرة، إلا أن محتواها كان عظيم الخطر في معناه وأثره. وفتواه هي:

«بسم الله الرحمن الرحيم: استعمال الدخانيات اليوم في إيران في حكم محاربة الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف».

→

كان عالماً وإماماً وفقيهاً ماهراً مدققاً، ورئيساً دينياً ورعاً تقياً، راجح العقل، ثاقب الفكرة، بعيد النظر، مصيب الرأي، حسن التدبير، واسع الصدر، طليق الوجه، صاحب فراسة، قوي الحفظ، على جانب عظيم من كرم الأخلاق، وكان كثير الرفق بالطلاب والحنو عليهم وحسن العشرة معهم. بلغ من الرئاسة وجلالة الشأن مبلغاً لم يكن لأحد من الأمراء والملوك في أيامه. وكان في عصره من أكابر العلماء والمجتهدين، كالشيخ محمد طه نجف والسيد كاظم اليزدي وغيرهم، وقد اتفق العلماء على تقديمه قدس سره بعد وفاة الشيخ الأنصاري قدس سره كزعيم للطائفة. خرج إلى سامراء سنة (١٢٩١هـ) وبخروجه صارت إليها الرحلة، وتردد إليها الناس وأصحاب الحاجات من أقطار الدنيا، وأقيمت فيها الدروس العلمية وقصدها طلاب العلوم الدينية، وشيدت فيها المدارس والدور. توفي قدس سره في سامراء سنة (١٣٢١هـ) وحمل إلى النجف الأشرف، ودفن في الصحن العلوي الشريف، وأُقيمت له مجالس الفاتحة في جميع مدن العراق وإيران وغيرها من بلاد الشيعة. انظر أعيان الشيعة: ج٥ ص٣٠٤.

نعم، قاد المجدد ثورة التنباك ضد الإنجليز وحكومة ناصر الدين شاه القاجاري[1]، بعد أن قادت بريطانيا جيوشاً جرارة على إيران،

---

(١) ناصر الدين شاه بن محمد شاه بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري. ولد سنة ١٢٤٧هـ، وهو أحد أفراد السلالة القاجارية التي حكمت إيران فترة مائة وثلاثين عاماً. جلس على سرير الملك سنة ١٢٦٤هـ. كتب المؤرخون عن حياته وآثاره كتباً مستقلة مثل: (ناسخ التواريخ ـ مجلد القاجار) و (سفرنامه ناصرى) و (تاريخ ناصرى). له قصائد في رثاء الإمام الحسين الشهيد عليه السلام باللغة الفارسية، وشعره معروف ومتداول بين الوعاظ وأهل الذكر والرثاء. زار العراق في سنة ١٢٨٧هـ بدعوة رسمية من الحكومة العثمانية، فوصل إلى كربلاء المقدسة في ٧ رمضان، وورد النجف الأشرف في ١٣ رمضان، ثم ذهب إلى زيارة سلمان الفارسي في ٢٩ رمضان. وفي ٢ شوال خرج إلى زيارة سامراء، فوصلها في ٦ شوال وتشرف بالزيارة. عندما زار كربلاء المقدسة، أمر بتجديد الأبنية في المشهد الحسيني، وتبديل صفائح الذهب، وتذهيب القبة الطاهرة، واشترى دوراً فأضافها إلى الصحن الشريف من الجهة الغربية. وفي عهده حدثت قضية التنباك (التبغ) الشهيرة، حيث منح ناصر الدين شاه حق امتياز التبغ إلى إحدى الشركات البريطانية لبيعه في داخل إيران وخارجه، مما كان يسبب سيطرة الكفار على بلاد المسلمين، وقد أصدر الميرزا الشيرازي الكبير قدس سره فتوى بتحريم استعمال التنباك، ونتيجة لهذه الفتوى اضطر الشاه ناصر الدين أن يذعن للفتوى ويلغي الاتفاقية بعد أن امتنع الناس عن التدخين وساروا في تظاهرات صاخبة عمَّت كل المدن الإيرانية للتنديد بالشاه وبالاتفاقية . وقد أدى ذلك إلى خروج الإنجليز من البلاد خائبين خاسرين. تعرض في ١٣ ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ إلى محاولة اغتيال على يد الميرزا رضا الكرماني، في حرم السيد عبد العظيم ←

وذلك في ربيع الثاني سنة (١٣٠٩هـ)، وكان قوامها (٤٠٠ ألف مقاتل)، وكان هدفهم السيطرة على اقتصاد إيران عبر أساليب عديدة، أهمها الحصول على امتيازات التبغ زراعة وشراءً وتصديراً مقابل (٢٥٠) ألف ليرة إنجليزية، تقدمها لندن لناصر الدين شاه القاجاري أحد ملوك ايران في العصر القاجاري. فأحبط المجدد الشيرازي قُدِّسَ سِرُّهُ المؤامرة بعد أن أصدر فتواه الشهيرة، فاضطرت جيوش الإنجليز إلى حزم حقائبها، ثم الخروج من إيران تجر أذيال الخيبة والإنكسار.

كما أن المجدد الشيرازي قُدِّسَ سِرُّهُ قام بدور آخر في إنقاذ المجتمع الإسلامي وذلك بإيقاف الظلم الطائفي الذي قام به الحاكم المستبد (عبد الرحمن خان) في أفغانستان، الذي قام بقتل الشيعة وجعل من رؤوسهم منائر في كل مكان، فأوقف الفتنة الطائفية التي كان يريدها أعداء الإسلام، فكما قارع الاستعمار البريطاني في ثورته السلمية في قصة التبغ والتي أيقظت العالم الإسلامي وأعطته الوعي السياسي في تاريخه الحديث، كان ينبه المسلمين ويحفظهم من الأخطار التي يسببها النفوذ الأجنبي في بلادهم.

→

الحسني في مدينة الري جنوب طهران توفي على أثرها ودفن إلى جواره. ثم جلس على أريكة السلطنة من بعده ابنه مظفر الدين شاه.

وهكذا يلزم أن يكون دور العلماء في إرشاد الناس نحو الخير والفضيلة في مختلف المجالات الاقتصادية وغيرها.

اقتصاد الدول المتقدمة

في إحدى الدول المتقدمة اقتصادياً وهي اليابان وعلى أثر النظام الاقتصادي الناجح الذي اتبعوه، باعتمادهم على أنفسهم وتخلصهم من النفوذ الغربي، استطاعوا أن يستفيدوا حتى من قشور الباقلاء التي نعدها من الأوساخ وفضلات الطعام، فصنعوا منها ألواح الخشب المضغوط التي تستعمل في صنع الدواليب والصناديق والأدوات المنزلية الخشبية، وسائر الاستخدامات الاخرى.

وإنني أتذكر قبل الحرب العالمية كيف كانت الصناعة اليابانية معروفة بعدم الإتقان، ولم يكن يرغب فيها الناس. أما بعد أن جعلوا في بلادهم التعددية الحزبية، وانتهجوا منهج الإتقان في أمورهم، واتخذوا سياسة اقتصادية ناجحة، وصلوا إلى ما وصلوا إليه من القوة الاقتصادية المنافسة لأقوى الدول، حتى اشتهرت الجودة في مختلف صناعتهم، وأصبح الإقبال عليها والمشترون لها أكثر حتى مما يصنعه الغرب. وهذا كله بسبب الإتقان في الأمور[1].

---

(١) لقد تجاوزت اليابان مرحلة خسارتها في الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من الخسائر المادية والبشرية الهائلة التي تكبدتها نتيجة إسقاط القنبلة الذرية عليها، تجاوزت كل ذلك بروح عالية وثابة نحن أحوج ما نكون إليها اليوم، فقد ←

كما إنني أتذكر ذات مرة أن أعداد الفئران تكاثرت بشكل مخيف في الكويت، ومهما استعمل الناس من أنواع السموم والمبيدات لم ينفع، فقلت لأحد الخبراء المسلمين وقد التقيت به في تلك الفترة: ما هو الطريق لحل هذه المشكلة؟

فقال: سآتي لكم بشيء جئت به من الصين، فذهب وعاد ومعه وسيلة عجيبة، ولكن فكرتها سهلة، وكانت عبارة عن مصباح كهربائي خاص، باستطاعته ـ للخاصية الموجودة فيه ـ أن

→

انطلقت اليابان إلى تطوير سائر قطاعات الحياة وعلى الأخص في مجال الصناعات الأساسية وبنسبة عالية، حيث انبثق برنامج سياسي واجتماعي تنظيمي يستغل حوافز التوسع في القطاع الحديث، ويستغل الآثار الممكنة للانطلاق إلى الاقتصاد الخارجي، وهي نقطة تحول في البناء الإقتصادي والاجتماعي للبلاد. فاندفعت اليابان بكل قوة إلى التقدم، واهتمت بالتنمية اهتماماً كثيراً، وأزالت الحكومة معظم القوانين التي تقيد المجتمع من خلال الطبقية التي كانت مستشرية فيه، حيث سهل هذا انتقال الفرد من مركز شخصي إلى مركز آخر يتطلب المهارة، واهتموا كذلك بجانب التعليم اهتماماً شديداً، وقام اليابانيون بسلسلة من الإصلاحات الأساسية المهمة التي أدت إلى انتعاش الاقتصاد، ثم اندفاعه المراحل المتقدمة بين اقتصاديات الدول المتقدمة، حتى أصبح من أقوى اقتصاديات العالم اليوم، فغزت الأسواق العالمية بسلع تستحيل مزاحمتها من حيث الجودة والكفاءة.

يجذب الفئران نحوه كجذب المغناطيس للمعادن، ثم يقضي عليها!

الجد والاجتهاد في العمل

من أهم مقومات الاقتصاد الناجح هو الجد والاجتهاد في العمل، وعليه سار المسلمون فتقدموا، قال تعالى: [وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ][1].

وفي خبر الشيخ الشامي، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا شيخ، من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كان في الدنيا همته كثرت حسرته عند فراقها، ومن كان غده شراً من يومه فمحروم، ومن لم ينل ما يرى من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى، ومن كان في نقص فالموت خير له»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « طوبى لمن طال عمره، وحسن عمله، فحسن منقلبه؛ إذ رضي عنه ربه. وويل لمن طال عمره، وساء عمله، فساء منقلبه؛ إذ سخط عليه ربه عزوجل»[3].

---

(١) سورة التوبة: ١٠٥.

(٢) الأمالي للطوسي: ص٤٣٥ المجلس١٥ ح٩٧٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٩٦ -٣٩٧ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجزة ح٥٨٤٦.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اطلبوا المعروف والفضل من رحماء أمتي، تعيشوا في أكنافهم، والخلق كلهم عيال الله، وإن أحبهم إليه أنفعهم لخلقه، وأحسنهم صنيعاً إلى عياله، وإن الخير كثير وقليل فاعله»[1].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بادر بأربع قبل أربع: بشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل مماتك»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل فيَّ خيراً، واعمل فيَّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة؛ فإنك لن تراني بعده أبداً»[3].

وعن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياكم والإيكال بالمنى! فإنها من بضائع العجزة»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٣ ص١٦٠ ب١٦ ضمن ح٣٨.

(٢) الخصال: ج١ ص٢٣٨ -٢٣٩ المبادرة بأربع قبل أربع ح٨٥.

(٣) روضة الواعظين: ج٢ ص٣٩٣ مجلس في ذكر الأوقات وما يتعلق بها.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٨٨ ب٦٤ ح٥٣.

قصة من التاريخ

ولننظر أخيراً إلى هذه القصة، ونتعلم من صاحبها درس التدبير والجد والعمل، ولنتعرف على بعض الأساليب الاقتصادية الناجحة عنده:

يذكر أن شخصاً يدعى (أبو البركات)، كان من التجار الكبار المشهورين بتجارة الجياد، بعد أن كان قد رباها ودربها بشكل تكون مفيدة للحرب ضد الكفار؛ لذلك كان من ينوي الذهاب إلى الحرب يأتي إليه ويشتري منه ما شاء من الجياد.

يقول أبو البركات: ذات يوم جاءني شخص وقال: أريد أن آتي إلى محل جيادك لأشتري عدة أفراس للمجاهدين، قلت له: لا مانع من ذلك، وتوجهنا بالمسير نحو الإصطبل، وفي الطريق لفت نظري عمل كان يقوم به هذا الشخص، حيث كان كثيراً ما يهوي إلى الأرض ويأخذ شيئاً منها ويضعه في كيس كان معه، حتى وصلنا الإصطبل، فاشترى مني عدة جياد أصيلة قوية وسريعة وبأثمان غالية، فسألته قائلاً: إني رأيت منك في الطريق شيئاً عجيباً، فما هذا العمل الذي كنت تعمله؟.

قال: هذا عملي وكسبي اليومي! حيث إني أطوف الشوارع

والأزقة، فأينما عثرت على قشر رمان، أو خشبة، أو قطعة حديد، أو ما أشبه ذلك أجمعها، ثم أجعل الحديد في جانب، والخشب في جانب، وهكذا، وبعد ذلك أبيعها، فالحديد للحداد، وقشور الرمان للدباغ، والخشب للخباز أو لمن يستعمله، وقد جمعت من هذا العمل هذا المال الذي اشتريت به منك هذه الجياد لإعانة المجاهدين في سبيل الله والإسلام.

وهذه القصة تدل على أن العمل يثمر وإن كان في نظر البعض تافهاً.

لذا يلزم العمل والجد والاجتهاد حتى يرجع الاقتصاد الإسلامي إلى بلادنا، وتكون دفة الاقتصاد بيد المسلمين لا بيد أعدائهم، فقد ورد في وصايا الإمام الحسن عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»[1].

كما يجب العمل لاستعادة ثروات الأمة المصادرة، حتى يعود للمسلمين عزهم وغناهم، كما كانوا عليه في العصور الأولى للإسلام[2]. وإلا فإن «من لا معاش له لا معاد له» على ما ورد في

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١ ص١٤٦ ب٢٥ ح٢٢٠.

(٢) انظر كتاب (القطرات والذرات) للإمام الراحل (أعلى الله مقامه) نشر مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للتحقيق والنشر.

الحديث.

«اللهم صل على محمد وآل محمد، وأسألك الربح من التجارة التي لا تبور، والغنيمة من الأعمال الخالصة الفاضلة في الدنيا والآخرة، والذكر الكثير لك والعفاف والسلامة من الذنوب والخطايا، اللهم ارزقنا أعمالاً زاكية متقبلة، ترضى بها عنا، وتسهل لنا سكرة الموت، وشدة هول يوم القيامة، اللهم إنا نسألك خاصة الخير وعامته لخاصنا وعامنا، والزيادة من فضلك في كل يوم وليلة، والنجاة من عذابك، والفوز برحمتك»[1].

(١) مصباح المتهجد: ص٤٤٣ أدعية الأسبوع، دعاء ليلة الأحد.

من هدي القرآن الحكيم

لزوم العمل

قال تعالى: [فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ][1].

وقال سبحانه: [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً][2].

الأنبياء عليهم السلام والعمل

قال عزوجل: [وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى][3].

وقال جل وعلا: [وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ

---

(١) سورة الجمعة: ١٠.

(٢) سورة الإسراء: ١٢.

(٣) سورة طه: ١٧ - ١٨.

بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ][1].

التقدير في المعيشة

قال سبحانه: [وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً][2].

وقال عزوجل: [وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً][3].

أسلوب الكفار والمستعمرين

قال تبارك وتعالى: [وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَلايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِينا ۞ وَما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً][4].

وقال عزوجل: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٠.

(٢) سورة الاسراء: ٢٩.

(٣) سورة الفرقان: ٦٧.

(٤) سورة النساء: ٣٨ - ٣٩.

كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ][1].

وقال جل وعلا: [لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ][2].

من مقومات العزة

قال تعالى: [وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً][3].

وقال سبحانه: [يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ][4].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٤.

(٣) سورة نوح: ١٢.

(٤) سورة هود: ٥٢.

من هدي السنة المطهرة

لزوم العمل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة»[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكتساب في الفقر والغنى، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمن ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم، وليكن نظركم عبراً، وصمتكم فكراً، وقولكم ذكراً، وإياكم والبخل، وعليكم بالسخاء، فإنه لا يدخل الجنة بخيل، ولا يدخل النار سخي»[2].

وقال رجل لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إني لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي ولا أحسن أن أتجر، وأنا محارف[3] محتاج؟.

---

(١) جامع الأخبار: ص١٣٩ ف٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ج١ ص١٤١ ب٤ ضمن ح٢٩.

(٣) المحارف بفتح الراء: المحروم الذي إذا طلب لا يرزق، أو يكون لا يسعى في الكسب، وهو خلاف قولك: المبارك، ومنه الحديث: «لا تشتر من محارف فإن صفقته لا بركة فيها». والمحارف أيضا: المنقوص من الحظ لا ينمو له مال، ←

فقال: «اعمل فاحمل على رأسك، واستغن عن الناس؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد حمل حجراً على عاتقه فوضعه في حائط من حيطانه، وإن الحجر لفي مكانه ولا يدرى كم عمقه إلا أنه ثم بمعجزته»[1].

الأنبياء عليهم السلام والعمل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عزوجل حين أهبط آدم عليه السلام أمره أن يحرث بيده، ليأكل من كده بعد الجنة ونعيمها...»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) يضرب بالمر[3] ويستخرج الأرضين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمص النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته، وإن أمير المؤمنين

→

والحرف بالضم اسم منه، وقد حورف كسب فلان: إذا شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه. وفلان يحترف لعياله: أي يكتسب من هنا ومن هنا. مجمع البحرين: ج٥ ص٣٦ مادة «حرف».

(١) الكافي: ج٥ ص٧٦ باب ما يجب من الإقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق ح٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٩ ص٣٦ ب٤ ح٢٤٠٩٦.

(٣) المر: المعزق يعزق به الطين، يعني: المسحاة. انظر كتاب العين: ج٨ ص٢٦١ مادة «مرر».

عليه السلام أعتق ألف مملوك من ماله وكد يده»[1].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إني لأعمل في بعض ضياعي حتى أعرق وإن لي من يكفيني، ليعلم الله عزوجل أني أطلب الرزق الحلال»[2].

التقدير في المعيشة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حسن البشر بالناس نصف العقل، والتقدير نصف المعيشة، والمرأة الصالحة أحد الكاسبين»[3].

وعن داود بن سرحان قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يكيل تمراً بيده، فقلت: جعلت فداك، لو أمرت بعض ولدك، أو بعض مواليك فيكفيك؟.

فقال: «ياداود، إنه لا يصلح المرء المسلم إلا ثلاثة: التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وحسن التقدير في المعيشة»[4].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٧٤ باب ما يجب من الإقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق ح٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص٧٧ باب ما يجب من الإقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق ح١٥.

(٣) أمالي الطوسي: ص٦١٤ المجلس٢٩ ح١٢٦٩.

(٤) الكافي: ج٥ ص٨٧ باب إصلاح المال وتقدير المعيشة ح٤.

وقال عليه السلام: «عليك بإصلاح المال؛ فإن فيه منبهةً للكريم واستغناءً عن اللئيم»[1].

وعن معتب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ـ وقد يزيد السعر بالمدينة ـ «كم عندنا من طعام؟».

قال: قلت: عندنا ما يكفينا أشهراً كثيرةً.

قال عليه السلام: «أخرجه وبعه».

قال: قلت له: وليس بالمدينة طعام؟.

قال عليه السلام: «بعه».

فلما بعته، قال عليه السلام: «اشتر مع الناس يوماً بيوم ـ وقال ـ يامعتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة؛ فإن الله يعلم أني واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها، ولكني أحببت أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة»[2].

آثار المال في المجتمع الإسلامي

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما أتخوف على أمتي من بعدي ثلاث خصال: أن تأولوا القرآن على غير تأويله، أو يبتغوا زلة العالم، أو

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٦٣ ب٢١ ح٢١٩٨٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٣٦ ب٣٢ ح٢٢٩٣٢.

يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا، وسأنبئكم المخرج من ذلك: أما القرآن فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وأما العالم فانتظروا فيئته ولا تتبعوا زلته، وأما المال فإن المخرج منه شكر النعمة وأداء حقه»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المال للفتن سبب وللحوادث سلب»[2].

من مقومات العزة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أتت الموالي أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: نشكوا إليك هؤلاء العرب، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعطينا معهم العطايا بالسوية، وزوّج سلمان وبلالاً وصهيباً، وأبوا علينا هؤلاء، وقالوا: لا نفعل.

فذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلمهم فيهم، فصاح الأعاريب: أبينا ذلك يا أبا الحسن، أبينا ذلك!.

فخرج وهو مغضب يجر رداءه، وهو يقول: يا معشر الموالي،

---

(١) الخصال: ج١ ص١٦٤ باب الثلاثة ح٢١٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٦٩ ق٥ ب٣ ف٤ ح٨٣٤١.

إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون إليكم ولا يزوجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتجروا بارك الله لكم؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة في التجارة وواحدة في غيرها»[1].

وعن المعلى بن خنيس قال: رآني أبو عبد الله عليه السلام وقد تأخرت عن السوق، فقال لي: «اغد إلى عزك»[2].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣١٨ باب النوادر ح٥٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٩٢ باب التجارة وآدابها وفضلها وفقهها ح٣٧١٩.

الفهرس

كلمة الناشر ٩
شمولية الإمداد الإلهي ١٣
من هو المتقدم الفائز ١٦
غفلة المسلمين ١٩
تحطيم البنية الاقتصادية ٢١
الإنجليز ودورهم في تدمير الاقتصاد العراقي ٢٢
الاكتفاء الذاتي ضرورة ٢٧
تجربة الهند مع الاحتلال البريطاني ٢٩
السعي إلى الاكتفاء الذاتي ٣٢
لا لليأس ٣٤
قصة واقعية ٤١
العلاج الإسلامي الاقتصادي ٤٤
اقتصاد الدول المتقدمة ٥١
الجد والاجتهاد في العمل ٥٣
قصة من التاريخ ٥٥
من هدي القرآن الحكيم ٥٨
من هدي السنة المطهرة ٦١
الفهرس ٦٧